جوانب بلاغية في تفسير الخطيب الشربيني، «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير»

د. سلطان عبد الله العازمي

Rhetorical Aspects in the Interpretation of Al-Khatib Al-Shirbini: "Al-Siraj Al-Munir"

Author: Dr. Sultan Abdullah Al-Azmi

Journal of Islamic Sciences
Vol.3 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 3 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

مستخلص الدراسة

لا شك بأنَّ النهج البلاغي هو أحد وجوه الإعجاز القرآني؛ ومن هنا انبثقت فكرة هذا البحث للوقوف على هذا الإعجاز في تفسير «السراج المنير» للخطيب الشربيني الذي يعدُّ إمامًا من أئمة الشافعية، لكنَّ المتأمل في تفسيره يجد له عناية غير قليلة بالدرس البلاغي، ومن هنا تنبع أهميته كونه فقيهًا بارعًا مجتهدًا، له اشتغال بعلوم النحو والبلاغة، وتفسيره من أواخر ما كَتَبه، فهو يكشف عن اتساع علومه، واكتمال أدواته الفنية، فضلًا عن اختياراته العلمية، وتتمثل أسئلة البحث في بيان مدى اهتمامه بالدرس البلاغي، والكشف عمَّا جادت به قريحته من أسرار بلاغية ولفتات جمالية، تُدلّل على إمامته البيانية، ويهدف البحث إلى الكشف عن أهمية تفسيره، ومنهجه فيه، ودراسة أهم القضايا البلاغية التي توقَّف عندها، وهي إضافة نوعية لم أجد من تناولها بشكل شامل ودقيق، واتَّبع البحث المنهج الوصفي بتتبع القضايا البلاغية في تفسيره، ثم المنهج التحليلي لتفسير آرائه وتقويمها، ومن أبرز النتائج التي خلص إليها البحث: أنَّ أسلوبه هو أقرب إلى أسلوب التفسير الهدائي في الاختصار وسلالة اللفظ وتعميق المعنى، كما أنَّه متفنّن في دَمْج العربية بفنونها كافة بسهولة ويسر ممّا يُثري مفهوم الآية ويُعمقها، ووقف البحث على رفضه لمصطلح السجع، وآثر تسميته بالفاصلة؛ لأنَّه من لوازم الشعر، فوجب تنزيه القرآن عنه، ومما يوخذ عليه رحمه الله أنه طوَّع البلاغة لإثبات عقيدته الأشعرية بما يتناقض مع الأدلة النقلية أو دلالة السياق، ويُوصي الباحث باختصار هذا التفسير على طريقة التفسير الهدائي لسلاسة أسلوبه وثرائه العلمي واللغوي ليتناسب مع طبيعة عصرنا الحاضر، وكذلك في مسائله البلاغية ما هو خليق بالنظر والتحليل.

الكلمات المفتاحية: تفسير، الخطيب الشربيني، السراج المنير، بلاغة.

Abstract:

There is no doubt that the rhetorical approach is one of the primary facets of Quranic inimitability (I'jaz). From this premise, the idea of this research emerged to examine this inimitability within the commentary of Al-Siraj Al-Munir by Al-Khatib Al-Shirbini. While Al-Shirbini is renowned as a leading Imam of the Shafi'i school of jurisprudence, a contemplative reading of his Tafsir (interpretation) reveals a significant focus on rhetorical study. The importance of this work stems from Al-Shirbini's status as a brilliant jurist and mujtahid who was also deeply engaged in the sciences of grammar and rhetoric. His Tafsir, being among his final writings, reflects the breadth of his knowledge, the mastery of his artistic tools, and the maturity of his scholarly choices.

Research Questions:

The study seeks to address the extent of his interest in rhetorical study and to uncover the rhetorical secrets and aesthetic nuances produced by his intellect, which demonstrate his eloquence and linguistic leadership.

Objectives and Methodology:

The research aims to highlight the significance of his Tafsir, his specific methodology, and the key rhetorical issues he addressed—an area that constitutes a qualitative addition, as it has not been comprehensively or precisely explored before. The study employs a descriptive approach by tracing rhetorical issues within the text, followed by an analytical approach to interpret and evaluate his views.

Key Findings:

· His style is closely aligned with the "guidance-oriented" (Huda'i) method of interpretation, characterized by conciseness, fluid phrasing, and deep conceptual meaning.

· He masterfully integrates various branches of the Arabic language with ease, thereby enriching and deepening the understanding of the Quranic verses.

· The study notes his rejection of the term Saj' (rhymed prose), preferring the term Fasilah (comma/rhyme-end), arguing that Saj' is a characteristic of poetry and the Quran must be transcended above it.

· A point of critique noted is that he occasionally adapted rhetoric to support his Ash'ari creed in ways that may contradict textual evidence or contextual indications.

Recommendations:

The researcher recommends abridging this Tafsir following the guidance-oriented method, given its fluid style and scientific and linguistic richness, to suit the requirements of the modern era. Furthermore, the rhetorical issues presented in the work remain worthy of further specialized study and analysis.

Keywords: Interpretation (Tafsir), Al-Khatib Al-Shirbini, Al-Siraj Al-Munir, Rhetoric (Balagha).

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد:

فقد تعددت جوانب الإعجاز القرآني وتنوعت أسبابه، مما حدا بالعلماء الربانيين أن يعكفوا عليه تأملًا لأسراره وتحصيلًا لبعض وجوه الإعجاز فيه، ولا شك بأنَّ الجانب البلاغي أحد هذه الوجوه؛ ويُعد الخطيب الشربيني إمامًا من أئمة الفقه الشافعي في عصره، لكنَّ المتأمل في تفسيره «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير»، يجد له عناية غير قليلة بالدرس البلاغي، فجاءت هذه الدراسة لتفصح عن مدى اهتمامه بالنهج البلاغي، وتسجيل ما جادت به قريحته من أسرار بلاغية ولفتات جمالية، تُدلّل على إمامته البيانية إلى جانب إمامته الفقية.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

تنبع من أنَّ المؤلِّف فقيه شافعي نحرير، له اشتغال بعلوم النحو والبلاغة، وتفسيره «السراج المنير» من أواخر ما كَتَبه، فهو يكشف عن اتساع علومه، واكتمال أدواته الفنية، فضلًا عن اختياراته العلمية، وهي إضافة نوعية للدراسات القرآنية، حيث لم أقف على من تناول الدرس البلاغي عند الخطيب الشربيني بشكل شامل ودقيق.

وقد تجذَّرت صلتي بهذا التفسير لسلاسة ألفاظه ودقة معانيه واتساع علومه، فهو أقرب إلى التفسير الهدائي، لذا أحببتُ أن أقف على جانب لم أرَ من وقف عليه بشيء من التفصيل.

أسئلة البحث:

أجابت هذه الدراسة عن الأسئلة الآتية:

١- من هو الخطيب الشربيني؟ وما منهجه في «تفسيره»؟

٢- ما مدى اهتمامه بالدرس البلاغي؟

٣- ما أهم الجوانب البلاغية التي وقف عندها في «تفسيره»؟

أهداف البحث:

١- الكشف عن حياة الخطيب الشربيني.

٢- بيان أهمية «تفسيره»، ومنهجه فيه.

٣- دراسة أهم القضايا البلاغية التي توقَّف عندها الخطيب الشربيني في «تفسيره».

الدراسات السابقة:

تناولت عدة دراسات تفسير الخطيب الشربيني من جوانب متعددة، وأقربها إلى بحثي دراستان، وهما:

الدراسة الأولى: «الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير»، للباحث: ثقيل بن ساير الشمري، رسالة ماجستير، إشراف: الدكتور: فريد مصطفى سلمان، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ.

وهي دراسة شاملة تناولت عصر المؤلف، وحياته، ومكانته، وآراؤه الفقهية والعقدية، ومنهجه في التفسير، ومصادره، واهتمامه بعلوم القرآن، والمآخذ عليه، وغيرها.

الدراسة الثانية: «أسلوب التغلب عند الخطيب الشربيني من خلال كتابه السراج المنير، دراسة تطبيقية»، للدكتور: محمد صالح علي الغربي، مجلة التأصيل، جامعة دنقلا، مركز تأصيل المعرفة والعلوم، يوليو ٢٠٢٤م.

تناول أسلوب التغليب في تفسير «السراج المنير»، وأنواعه، مع ضرب أمثلة عملية عليه.

ما يضيفه البحث:

أفدتُ من الدراسات السابقة بشكل عام، وأسلوب التغليب بشكل خاص، لأنها مختصة بجانب معين من جوانب البلاغة، لكنَّ دراستي غايَرتها بإلقاء الضوء على تفاصيل مباحثه البلاغية التي عمَّقت الرؤية التفسيرية لديه.

منهجية البحث:

اتَّبعتُ المنهج الوصفي بتتبع القضايا البلاغية في تفسير الخطيب، ثم المنهج التحليلي بتفسير آرائه، وتقويمها لدراسة طبيعة منهجه البلاغي.

خطة البحث:

انتظمت خطة البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتناولت فيها؛ أهمية الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة، وخطتها الرئيسة.

المبحث الأول: التعريف بالخطيب الشربيني.

المبحث الثاني: نبذة عن «تفسيره» ومنهجه فيه.

المبحث الثالث: بعض المباحث البلاغية في «تفسيره».

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وأخيرًا، أسأل الله التوفيق والرشد والسداد، ولا حول ولا قوة إلا به، وصلى الله وسلم على خاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: التعريف بالخطيب الشربيني:

هذه لمحة تعريفية عن الفقيه المفسر الخطيب الشربيني، حياته، وشيوخه، ومؤلفاته، نجملها فيما يلي (الغزي،١٩٩٧م، ط١، ٣/ ٧٢، ابن العماد ،١٤٠٦هـ، ٥٦١/١٠) هو الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام الخطيب شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي، وفي بعض المصادر: محمد بن محمد، وقد صرح الخطيب الشربيني نفسه باسم أبيه أنَّه أحمد، فقال في خاتمة تفسيره: «وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين المبارك، ثالث عشر صفر الخير، من شهور سنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة النبوّية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، على يد مؤلفه فقير رحمة ربه القريب محمد بن أحمد الشربيني الخطيب غفر الله تعالى له ذنوبه، وستر في الدارين عيوبه والمسلمين، والحمد لله ربّ العالمين، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين، والمرسلين والصحابة أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين» (الخطيب الشربيني، ١٢٨٥هـ، ٦١٩/٤). والشربيني نسبة إلى شربين، بلدة في محافظة الدقهلية في مصر.

لم نقف على شيء في تاريخ مولده، ولا عن نشأته العلمية، ولعلَّ السبب في ذلك أنه عاش في قرية صغيرة، ولعله أيضا عاش في أسرة فقيرة، إلا أنه لما اشتد صلبه عرف بحرصه على العلم وطلبه، وحرصه على مجالس العلم، فقد أخذ عن: الشيخ أحمد البرلسي الملقب بعميرة، والشيخ نور الدين المحلي، والشيخ نور الدين الطهواني، والبدر المشهدي، والشمس محمد

بن عبدالرحمن بن خليل النشلي الكردي، والشيخ شهاب الدين الرملي، والشيخ ناصر الدّين الطّبلاوي، وغيرهم.

وقد تتلمذ عليه مجموعة ممن صاروا علماء ومشايخ من بعدِه، منهم: ولده عبدالرحمن، ومحمّد القصري، ومحمّد الداودي القدسي، وغيرهم.

أُجيز بالإفتاء والتدريس، فدرَّس وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يحصون.

وقد كان الخطيب الشربيني صاحب أخلاق فاضلة وصفات رفيعة، لذلك أثنى عليه مترجموه، ووصفوه بالخصال الحسنة، ولم يذكروا فيه شيئاً من القدح أو الذمّ.

قال الغزي: أجمع أهل مصر على صلاحه، وعُرف بالزهد، والورع، وكثرة النسك والعبادة، وكان يمزج بين العلم بالعمل.

وقال فيه عمر رضا كحالة: فقيه، مفسر، متكلم، نحوي، صرفي.

وقد شرح كتابَي: «المنهاج» و«التنبيه» شرحين عظيمين، جمع فيهما تحريرات أشياخه، وأقبل الناس على قراءتهما وكتابتهما في حياته، وله على «الغاية» شرح مطول حافل.

وكان من عادته أن يعتكف من أول رمضان، فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد، وكان إذا حج لا يركب إلا بعد تعب شديد، يمشي كثيراً عن الدابة، وكان إذا خرج من ركب الحجاج لم يزل يعلِّم الناس المناسك، وآداب السفر، ويحثهم على الصلاة، ويعلمهم كيف القصر والجمع، وكان يكثر من تلاوة القرآن في الطريق وغيره، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف، ومع ذلك كان يصوم بمكة والسفر أكثر أيامه، ويؤثر على نَفْسه، كان يؤثر الخمول ولا يكترث بأشغال الدنيا، وبالجملة كان آية من آيات الله تعالى، وحجة من حججه على خلقه.

وهو شافعي المذهب، أشعري العقيدة، كما تشي مصنفاته بذلك، إلا أنّه كان يميل إلى إثبات صفة الاستواء على طريقة أهل السنة من السَّلف الصالح[1]، ومن مصنفاته: «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع»، و«مغني المحتاج في شرح منهاج الطالبين للنووي»، وهذا الشرح غدا من أهم مراجع المذهب الشافعي، و«مناسك الحج»، و«شرح منهاج الدين» للحليمي الجرجاني في شعب الإيمان، ومن كتبه النحوية والصرفية: «الفتح الرّبّاني في حلّ ألفاظ تصريف عز الدين الزنجاني»، و«نور السجية في حل ألفاظ الآجرومية»، و«فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية

(١) الزبيري، ٢٠٠٣م، ١٩٦١/٢، والشمري، ١٩٩١م، ص١٨٥.

ابن مالك»، و«شرح شواهد القطر»، والقطر هو: قطر الندى في النحو، لابن هشام، و«تقريرات على المطوَّل» في البلاغة، وجمع فتاوى لشيخه شهاب الدين الرملي، فبلغت مجلدًّا[١]، توفي الخطيب الشربيني بعد عصر يوم الخميس ثاني شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمائة، -رحمه الله- وأسكنه فسيح جناته.

المبحث الثاني: نبذة عن تفسيره ومنهجه فيه:

أذكر في هذا المبحث نبذة مختصرة عن تفسير الخطيب الشربيني ومنهجه فيه، وقد جعلته في مطلبين:

المطلب الأول: نبذة عن تفسيره «السراج المنير»:

ابتدأ -رحمه الله- في تصنيف «تفسيره» عام ٩٦٤هـ، وانتهى منه عام ٩٦٨هـ،[٢]، وهو من أواخر ما كَتَب حيث أبان في مقدمته أنَّه فكَّر في تصنيفه بعد فرَاغه من شرح «منهاج الطالبين»؛ حيث أشار رحمه الله -تعالى- إلى أنه استخار الله عند الروضة النبوية الشريفة في كتابة هذا التفسير سنة ٩٦١هـ، ثم شرع به بعد ذلك[٣]، أي: قبل وفاته بتسع سنين، وهذا يدلّ على أنَّه كتَبَ تفسيره بعد رسوخ قدمه وعلو كعبه، كما يدلُّ على أنَّ ما قرّره في تفسيره هو من أواخر آرائه العلمية، ممَّا يدلّل بلا شك على أهمية هذا التفسير في رصد خلاصة آرائه العلمية.

يعدُّهُ بعض الدارسين من كتب التفسير بالرأي[٤]، وهذا وإن كان فيه شيء من الحقيقة، لكنَّنا ينبغي ألَّا نتناسى مدى تأثُّره بالمأثور من باب الإنصاف، فهو يحتج بأقوال ابن عباس، وابن مسعود، وقتادة، ومجاهد،(فقد احتج بالأحاديث -فيما وقفتُ عليه دون قصد استقصاء- في مائتي موضع، وبأقوال ابن عباس في أكثر سبعمئة موضع، وقتادة ومجاهد في أكثر من ثلاثمئة موضع، وهكذا)، وغيرهم، كما احتج بالأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة وغيرهم، مما يجعله في بوتقة التفسير بالمأثور، فما كان منه بعد ما أفاضَه الله عليه إلا رقَّة اللفظ، وروعة

(١) حاجي خليفة، ٢٠٢١م ٦٩٧/٤.
(٢) الشربيني، ١٢٨٥هـ ، ١٤٠/٢، ٥٣٦/٢.
(٣) الشربيني ٣/١.
(٤) الزرقاني، ت ١٣٦٧هـ، ٢٠٦/١.

الأسلوب، ودقة الاختيار، وحسن الترتيب.

وقد تنبَّه - رحمه الله- إلى أنَّ لكل عصر طابعه الخاص، ولكل كاتب أسلوبه المميز، فقد ذكر أنَّه لا مزيد على ما قاله السلف، «ولكن لا بدّ في كل زمان من تجديد ما طال به العهد»[١]، وقد وصَفَ عمله في تفسيره بأنه: «المبين عن حقائقه، المخلص عن مضايقه، المطلع على غوامضه، المثبت في مداحضه، المكتنز بالفوائد التي لا توجد إلا فيه، المحيط بما لا يكتنه من بديع ألفاظه، ومعانيه مع الإيجاز الحاذف للفضول، وتجنب المستكره المملول»، وهو بذلك يكشف عن سمات أسلوبه الذي امتاز به بحقّ، وبالضرورة هو يَشِي من طرفٍ خفيّ عن فلسفة عصره، وما امتازت به، وما أَلِفَه مجتمعه من معارف وعلوم، وكما قيل: لكل عصر تفسير، يُجلِّي لأهله عما في كتاب الله من أسرار مُودعة وآيات باهرة، لتظل بها حجة الله قائمة على عباده ما دامت السموات والأرض.

وأما مصادر تفسيره فهي متنوعة من القراءات السبع المشهورات، ولا يتجاوزها كما ورد في مقدمته، وكذلك كتب التفسير، والحديث، واللغة، والنحو، والسير، وغيرها، فقد تلّقى التفسير كما وصف نفسه: «بحمد الله من تفاسير متعدّدة رواية ودراية عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم، واشتهرت وانتشرت مآثرهم»، وربما وجَّه أقوال مَن سبقه من المفسِّرين كالزمخشرى، والرازي، والبيضاوى، والبغوى، وقد يناقشها ويرد عليها[٢]، وقد أجمل الشربيني القول في هذا النقل بقوله: أنَّه «جمَعَ من التفاسير معظمها، ومن القراءات متواترها، ومن الأقاويل أظهرها، ومن الأحاديث صحيحها وحسنها، محرّر الدلائل في هذا الفنّ، مظهرًا لدقائق استعملنا الفكر فيها»[٣]، ومن نظر في تفسيره وجَدَه كما قال رحمه الله تعالى إلا ما قد يعتري البشر من خطأ أو نسيان أو غفلة.

المطلب الثاني: منهجه في تفسيره (السراج المنير):

امتاز تفسيره رحمه الله تعالى بخصائص عامة، فلغته سهلة واضحة، يقول عنه الدكتور محمد حسين الذهبي: «وجدتُهُ تفسيرًا سهل المأخذ، ممتع العبارة»[٤]، وذكر في مقدمة تفسيره أنّه وسطٌ

(١) الشربيني، ت ١٣٦٧هـ، المقدمة.
(٢) الذهبي ، ت ١٣٩٨هـ، ١/ ٢٤٢، الشمري ص٦٧، وما بعدها.
(٣) الشربيني، ت ٩٧٧هـ، ٦١٨/٤.
(٤) الذهبي، ت ١٣٩٨هـ، ١/ ٢٤٢.

«بين الطويل الممل والقصير المخل»[1]، وهذه ميزة فريدة، فقد جمع بين الاختصار والشمول؛ حيث حشد فيه من الأحاديث وأقوال السلف وآراء العلماء الشيء الكثير، فضلًا عن استشهاده باللغة والنحو والبلاغة، فهو تفسير مُختصر غنيّ ثريّ جامع، يَسعد به غير المختص لزبدة آرائه، وينتشي به العالم لعمقه وثرائه.

وفيما يلي تفصيل بعض خصائص تفسيره:

١- يبدأ تفسيره للسورة بمقدمة قصيرة عن أسمائها، وفضائلها، وموضوعاتها، وتعدادها، وبيان المكي منها والمدني، وهذا غير مطرد في كل السور حيث يطول ويقصر حسب كل سورة.

٢- يُفسّر البسملة في كل سورة بألفاظ مغايرة عن سابقتها؛ كقوله في تفسير سورة قريش: «﴿بِسمِ اللّهِ﴾ الذي له جميع الكمال ﴿الرَّحمنِ﴾ ذي النعم والأفضال ﴿الرَّحيمِ﴾ الذي خص أولياءه بالقرب والإجلال»، وذلك بما يتلاءم مع الجو العام للسورة، أو الاستهلال بما فيه تعظيم لجلاله سبحانه، وهي عادة سبقه إليها القشيري (ت٤٦٥هـ) في «إشاراته»[2]، ثم البقاعي (٨٨٥هـ) في «نظم الدرر»[3].

٣- يشرح الآية كلمة كلمة شرحًا معجميًّا، محافظًا على اتساق المعنى، ثم يدمج شرحه بما يُناسب المقام من بيان سبب النزول، أو تفسير الآيات بالقرآن، أو بالحديث النبوي، أو بأقوال الصحابة، أو أقوال التابعين، أو بقول من أقوال المفسرين، وغالبًا ما ينسب هذه الأقوال إلى أصحابها، وقد يُثري شرحه بشعر بليغ، أو إعراب كلمة، أو ملحة بلاغية أو مسألة عقدية، أو حكم فقهي، إلى غير ذلك، وهذا كله بشكل مختصر ممتع.

٤- اقتصر فيه «على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه عند السؤال، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية»[4]، وهذا هو عينه ما دعَت إليه مدرسة المنار، وهو ما عُرف بالتفسير الهدائي.

---

(١) الشربيني، ت ٩٧٧هـ، ٣/١ المقدمة.

(٢) انظر: القشيري، عبدالكريم بن هوازن، لطائف الإشارات، المعروف بتفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، (٢٦/١) مقدمة التحقيق، والعازمي، سلطان، لطائف الإشارات للقشيري في ضوء نظرية السياق القرآني، صور تطبيقية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد (٣٩)، جمادى الآخر ١٤٤٦هـ، ديسمبر ٢٠٢٤م. (ص٨٩).

(٣) انظر: البقاعي، إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (١٧/١).

(٤) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٣/١) المقدمة.

٥- قد يذكر «بعض أقوال وأعاريب لقوّة مداركها أو لورودها، ولكن بصيغة: قيل، لُيعلَم أنَّ المرضي أوّلها»[١]، وهذا يدل على اختياراته.

٦- قد يفسر القرآن بالرأى القائم على الدليل والنظر بما لا يخالف مقاصد الشريعة، وهذا من التفسير المحمود.

٧- نقلَ الإسرائيليات رادًّا على بعضها؛ كقصة داود عليه السلام مع امرأة أوريا[٢]، وقد لا يُعلِّق عليها، وقد نقل قول الرازي في نعت صفة سفينة نوح عليه السلام: «أنّ أمثال هذه المباحث لا تعجبني؛ لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة، ولا يتعلَّق بمعرفتها فائدة البتة، فكان الخوض فيها من باب الفضول»[٣].

والحاصل أنّ المفسرين عامة والشربيني خاصة لم ينقلوا من كتب أهل الكتاب مباشرة، بل نقلوها بإسنادها إلى كعب الأحبار، ووهب بن منبّه، وعبدالله بن سلام، وغيرهم[٤]، مما جعلها أقرب إلى الرواية الضعيفة، أو كما قال الأستاذ محمود شاكر: أنها تقوم «مقام الاستدلال بالشّعر القديم»[٥].

وخلاصة القول إنَّ الخطيب الشربيني رحمه الله عالم بالرواية ولا تغيب عنه الدراية، تفسيره أقرب إلى التفسير الهدائي، فهو ينتقي لكل آية ما يُناسبها، ولا شك بأنَّ ما نهَجَه من اختصار بطرحه الخلافات عامّة مع كثرة مصادره وتنوُّعها جعل تفسيره يتبوَّأ منزلة جليلة في عصره، أضف إلى ذلك سلاسة اللغة، وتَهذيب الكلام، وحسن الاختيار، والله أعلم.

(١) ()المصدر السابق (٣/١) المقدمة.

(٢) ()السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤٠٧/٣).

(٣) الرازي، محمد، مفاتيح الغيب، وهو تفسيره المعروف باسم: التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ط٣، (٣٤٥/١٧)، والسراج المنير، الخطيب الشربيني، (٥٦/٢)، والخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير، الشمري (ص٢٦٨) وما بعدها.

(٤) ينظر: ابن خلدون، عبدالرحمن، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م، ط١، (٥٥٥/١)، والتفسير والمفسرون، الذهبي (١٢٩/١).

(٥) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (١٧/١)، من مقدمة التحقيق.

المبحث الثالث: بعض المباحث البلاغية في تفسيره:

يُدرج الخطيب الشربيني مباحث بلاغية في تفسيره إدراجًا لطيفًا، لا تكلف فيه، يَتناسب مع ما ألزَمَ به نفسه من اختصارِ لفظٍ ورشاقة عبارة، وما كثرة استشهاده بالزمخشري إلا دلالة على أنَّ البلاغة لها وقعها في نفسه بما تُبرزه من إعجاز في نظم القرآن، فالزمخشري كما هو معروف له أثره البلاغي العميق على المفسرين، ولم يمنعه هذا الاستشهاد من تفنيد ما ينبغي له تفنيده من مآخذ عدَّة، لم يسلم منها البشر.

وقد تنوعت موضوعاته البلاغية فمنها ما يتعلَّق بعلم المعاني، من جمل خبرية وإنشائية بلاغية، كالاستفهام والأمر والنداء وغيرها، وكذلك علم البيان؛ من تشبيه ومجاز مرسل واستعارة وكناية، وكذا ما يتعلَّق بعلم البديع وما فيه من محسنات لفظية أو معنوية، وهذه الإضاءات البلاغية لا تُنسب له وحده، بل نقل بعضها ممَّن سبقه مع نسبتها لأصحابها أحيانًا، ولو لم يكن له فضل إلا حسن الاختيار لكفاه، فكيف وهو يجلي معاني الآيات بأوابد خاصة من معين فكره؟ وهذا بلا شك يكشف عن جانب أصيل في شخصيته -رحمه الله-، وهو يصبُّ في استكناه البلاغة القرآنية وما فيها من إعجاز.

لقد تبلورت عندي فكرة الوقوف على جهود الخطيب الشربيني البلاغية لِما رأيته من كثرة استشهاده بها، وإحاطته بتفاصيلها، وهي على كثرتها تستحق الدراسة والتأمل، فهذه واحدة، وثانية هو إدراجه لها في ثنايا تفسيره بسلاسة ويسر، فلا هي تستعصي على الطالب المبتدئ، ولا يستغني عنها الراغب المختص، وإذا أضفنا إلى ذلك ما له من تقريرات بلاغية على «المطول» للتفتازاني، فضلًا عن كتاباته في علمَي الصرف والنحو، يتبيَّن لنا ما حَوَته هذه العقلية الفذة من سعة لغوية، تعدَّدت فنونها، واتسعت مشاربها، وهذا كلّه سيكون له من أثر بالغ على تفسيره، وهذا ما يتجلَّى في كتابات الدارسين من أريحية تجاه هذا التفسير، وهو خليق به، لذا أحببتُ أن أُميط اللثام عن هذا الجانب البلاغي في شخصية الخطيب الشربيني، وفيما يلي نبذة عن أهم المباحث البلاغية التي تناولها في تفسيره:

الأول: علم المعاني:

هو العلم بأحوال الألفاظ العربية المطابقة لمقتضى الحال من الأمور الإنشائية والأمور الطلبية والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز حينًا والإطناب آخر، والفصل والوصل، إلى غير

ذلك[١]، فعلم المعانى هو إدراك خواص تراكيب الجُمل ومفرداتها، ومكمن سر جمالها، وسبب اختلاف تراكيبها من حيث وضوح دلالة تراكيبها وخفائها، وهو علم بديع لطيف.

وسنتناول بعض ما تناوله الخطيب الشربيني منها فيما يلي:

أولًا: الجملة الخبرية:

يُعرِّفها البلاغيون بأنَّها: ما احتمل الصدق والكذب لذاته[٢].

وقد تناولها - رحمه الله- أحيانًا ببيان ما تنضوي عليه من إشارات بلاغية، تُثري سياق الآية وتعمّق مفهومها؛ فاسم الإشارة يفيد التعظيم في قوله -تعالى-: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [الزُّمَر: ٦][٣]، ودلالة المضارع: التجدّد والاستمرار[٤]، «وقد لا يُلاحظ منه زمان معين من حال أو استقبال، بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرّد الاستمرار»[٥].

وبيَّن بأنَّ دلالة الاسم: (دائمون) هي الثبات في قوله -سبحانه-: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُون﴾ [المعارج: ٢٣]، «أي: لا فتور لهم عنها، ولا انفكاك لهم منها»[٦].

وتتبَّع دلالة الفعل الماضي على ما لم يقع؛ لجعل المُحقّق وقوعه كالواقع، وذلك في قوله -تعالى-: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠][٧]، وقوله -تعالى-: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، أوردهم: «إنما أتى بلفظ الماضي مبالغة في تحققه»[٨]، وقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِين﴾ [القصص: ٢٦]: «وورود

(١) ينظر: الطالبي، يحيى بن حمزة الحسيني، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، بيروت، المكتبة العنصرية، ١٤٢٣هـ، ط١، (١٠/١)، (١٣١/٣).

(٢) ينظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ط٢، (ص١٦٦)، والمراغي، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، (ص٤٣).

(٣) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤٣٣/٣)، وأيضًا: (١٦/١)، (٤٣٧/٢).

(٤) المصدر السابق (١٥/٢)، (٢٦٥/٢)، (٢٨٥/٢)، (٢٥٩/٤).

(٥) السراج المنير، (٥٤٦/٢).

(٦) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٣٨٤/٤).

(٧) المصدر السابق (٤٢٤/٢).

(٨) السراج المنير، (٧٧/٢).

الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جُرِّب وعُرِف»[1]، وهو بذلك يُثري الآية ويُعمق مفهومها بربط دلالتها اللغوية بالتعليل المنطقي حسب ما يقتضيه مقامها من قرائن.

ويعلل الخطيب الشربيني لفظة: ﴿سَبَّحَ للهِ﴾ التي ترد بلفظ الماضي والمضارع والأمر؛ «لتعليم العبد أن يسبح الله تعالى على الدوام»[2]، ويرى أن جملة: ﴿الحَمْدُ للهِ﴾: «خبرية لفظاً؛ إنشائية معنى، لحصول الحمد بالتكلم بها مع الإذعان لمدلولها»[3]، ويوازن بين دلالة الفعل الماضي (كفروا) واسم الفاعل (المشركين) في قوله -تعالى-: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البيِّنة: ١] «بأنَّ أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أوّل الأمر؛ لأنهم كانوا مصدّقين بالتوراة والإنجيل وبمبعث محمد ﷺ بخلاف المشركين، فإنهم وُلدوا على عبادة الأوثان، وذلك يدل على الثبات على الكفر»[4].

وربما يفصِّل بعض الجمل الخبرية متَّكئًا على ما فيها من إشارات بلاغية ماتعة، يقول في قوله -تعالى-: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينِ﴾ [الزُّمَر: ١٥]: «﴿أَلاَ ذَلِكَ﴾ أي: الأمر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينِ﴾ أي: البين، يدل على غاية المبالغة من وجوه؛ أحدها: أنه وصفهم بالخسران ثم أعاد ذلك بقوله تعالى: ﴿أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينِ﴾ وهذا التكرير لأجل التأكيد، وثانيها: ذكر حرف (ألا) وهو للتنبيه، وذكر التنبيه يدل على التعظيم، كأنه قال: بلغ في العظم إلى حيث لا تصل عقولكم إليه فتنبهوا له، وثالثها: قوله -تعالى-: ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ﴾ ولفظة (هو) تفيد الحصر، كأنه قيل: كل خسران يصير في مقابلته كل خسران، ورابعها: وصفه تعالى بكونه خسرانًا مبينًا يدل على التهويل»[5].

وأما الخبر وفق ما يقتضيه ظاهر حال المخاطب، فقد ذكر الضرب الإنكاري عند تفسير قوله -تعالى-: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]، فقال: «وزادوا اللام المؤكدة؛ لأنه جواب عن إنكارهم»[6]، وذكر القصر؛ قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على

(١) المصدر السابق (٩٣/٣)، وينظر أيضًا: (٣٠١/٣)، (٣٧/٤).
(٢) السراج المنير، (٢٧٢/٤).
(٣) المصدر السابق (٨/١).
(٤) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٥٧٠/٤).
(٥) ()السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤٣٨/٣).
(٦) المصدر السابق (٣٤٣/٣).

الصفة[١]، وبين الغرض من القصر في قوله -تعالى-: ﴿اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٢] بقوله: «والآية تفيد حصر ما في السموات وما في الأرض له لا لغيره، وذلك ليدلّ على أنه لا مالك إلا الله، ولا حاكم إلا الله، وأنه تعالى خالق لأعمال العباد؛ لأنها حاصلة في السموات والأرض»[٢].

ثانيًا: الجملة الإنشائية:

وهي ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته[٣]، ومثاله: النهي، والأمر، والاستفهام، والتمني، والنداء، وصيغ المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجاء، وغيرها.

- الاستفهام:

فالاستفهام يخرج لمعان كثيرة، تناولها الشربيني في أكثر من مئة موضع في تفسيره؛ ومن أمثلته: قوله -تعالى-: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦]، هو استفهام نفي، ثم يُبيّن معناه بقوله: «معناه جحد، أي: لا يهديهم الله لما علم من تصميمهم على كفرهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم»[٤].

ويقول في قوله -تعالى-: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزُّمَر: ٣٦] «استفهام إنكار للنفي؛ مبالغة في الإثبات»[٥].

والاستفهام يفيد: النفي، والتقرير، والتوبيخ، والتعجب، والإنكار، والاستعطاف، والأمر، والتشويق والتجاهل[٦]، ونراه أحيانًا يُفعِّل دلالة السياق، فيدمج أكثر من معنى، فيقول: استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى، أو استفهام تقرير وتوبيخ[٧]، ويقول في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس: ٦٠]، «استفهام بمعنى: التوبيخ والتقريع

(١) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٥٣٤/٢).
(٢) المصدر السابق ، (١٦٨/٢)، وانظر: (٢٦٦/٢).
(٣) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة، الطالبي (٢٦/١)، وعتيق، عبدالعزيز، علم المعاني، بيروت، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م، ط١، (ص٦٩).
(٤) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢٣٠/١).
(٥) المصدر السابق (٤٤٨/٣).
(٦) ينظر مرتبًا على سبيل المثال: السراج المنير، الخطيب الشربيني (١٣٦/١)، (٢٠١/١).
(٧) ينظر على سبيل المثال: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٣٧٩/٣).

والتهديد والوعيد العظيم لمن يفتري على الله الكذب»[١].

وكثيرًا ما يُفسر الاستفهام البلاغي بما يتوافق مع السياق، وربما يُرجِّح معنىً على آخر، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، يقول: «استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده، لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ، وقد يُخاطب به من لم ير ولم يسمع، وهذا هنا أولى، فإنه صار مثلاً في التعجيب»[٢]، وقد فعَّل دلالة السياق في عدَّة مواضع[٣].

وعليه نراه رحمه الله يمزج بين دلالة الاستفهام مع السياق القرآني بأسلوب سلس، لا تشعر بينها بفصل أو نفور ممَّا يشي بتبحره في علم البلاغة وما يتعلق به من فصاحة وبيان.

- الأمر والنهي:

فالأمر للوجوب[٤]، ويخرج لمعان بلاغية، منها: التوبيخ والتقريع، التهديد، التهكم، الإباحة[٥]، والنهي للتحريم، وهو يوجب الدوام والتكرار[٦]، ومن المعاني البلاغية التي يخرج إليها الدعاء[٧].

- النداء:

وللنداء معانٍ بلاغية؛ كالتمني، والتخصيص، للتأنيس والملاطفة[٨].

وأما أدوات النداء فبعضها لنداء القريب أو البعيد؛ فحرف النداء (يا): «وضع لنداء البعيد، وقد ينادى به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد، إمّا لعظمته كقول الداعي: يا رب ...، أو لغفلته وقلة فهمه، أو للاعتناء بالمدعوّ له وزيادة الحث عليه»[٩]، ويقول الشربيني في شرح قوله -تعالى-: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤]: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾: «ينادي بيا القريب ترفقاً به؛ كما يقول الشخص لمَن يضربه: يا سيدي، كأنَّه يستغيث به ليكفَّ عنه»[١٠].

(١) ()السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢/٢٦).
(٢) المصدر السابق (١/١٥٧).
(٣) السراج المنير، الخطيب الشربيني (١/٢٤٧)، (٣/٥٢٠)، وغيرها.
(٤) ينظر: المصدر السابق (١/٤٥٣).
(٥) ينظر على الترتيب: السراج المنير، الخطيب الشربيني (١/٥٢٩)، (٢/٢٣٧).
(٦) السراج المنير، الخطيب الشربيني (١/٣٤٤)، (١/٦١٤).
(٧) المصدر السابق (٢/٣٤).
(٨) ينظر على الترتيب: السراج المنير، الخطيب الشربيني (١/٤١٦).
(٩) المصدر السابق (١/٣١).
(١٠) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢/٤٩٩).

وربما تسقط أداة البعد (يا) كقوله -تعالى-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤] للدلالة على غاية القرب، وزيادة في التوثيق بإظهار أنه لا واسطة للداعي إلا ذله وانكساره[١]، وإما تكرار النداء فهو لبيان زيادة الشفقة، كنداء لقمان لولده: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ﴾ [لقمان: ١٦]، ﴿يَا بُنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [لقمان: ١٧]؛ لأنّ النداء تنبيه للمنادَى ليُقبل على استماع الكلام، فإعادته تفيد تجدُّد ذلك، وكذلك حتى لا يُتوهَّم أنَّ المخاطب ثانيًا غير المخاطب أولًا، وليعلم أنَّ كل واحد من الكلامَين مقصود، فليس الثاني تأكيداً للأوّل[٢].

ثالثًا: مسائل بلاغية متنوعة:

- الحذف: دلالته التعظيم؛ وذلك في قوله -تعالى-: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشورى: ٢٣]، أي: يبشر الله به: حذف العائد (به) «تفخيماً للمُبشَّر به؛ لأنَّ السياق لتعظيمه؛ بالإشارة، ويجعلها بأداة البعد، وبالوصف بالذي، وذِكرِ الاسم الأعظم، والتعبير بلفظ العباد في قوله تعالى: ﴿عِبادَهُ﴾ مع الإضافة إلى ضميره سبحانه»[٣]، نلحظ أنَّ تتبّعه لدلالة الحذف تدل على تمكنه من علوم اللغة رحمه الله -تعالى-.

- الالتفات: هو التعبير عن معنى بطريق من الثلاثة: التكلم، والخطاب، والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، أي: المغايرة بين الضمائر، ومثاله قوله -تعالى-: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، فقوله: ﴿عِبَادِيَ﴾ تعبيرٌ بأسلوب التكلم، ثم التفتَ فعبَّر بطريق الغيبة في قوله: ﴿رَحْمَةِ اللَّهِ﴾؛ لأنَّ الاسم الظاهر من قبيل الغيبة، والأصل أن يُقال: ﴿من رحمتي﴾، وفائدة هذا الالتفات أنَّ ضمير التكلم في ﴿عِبَادِيَ﴾: يُوحي بالعطف والأمان على العباد بإضافتهم إليه سبحانه، ثم التفتَ: ﴿رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ بطريق الغيبة إشعاراً للمخاطبين بما يحمله هذا الاسم من عظمة، فيطمئنوا إلى رحمته[٤].

(١) المصدر السابق (٤١٣/٢)، (٥٢٧/٢).

(٢) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٦٠/٤).

(٣) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٥٣٧/٣)، وانظر أيضًا.

(٤) ينظر: بهاء الدين السبكي، أحمد بن علي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣م، (٢٧٣/١)، والجناجي، حسن بن إسماعيل، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م، (ص١٣٣).

ذكر الشربيني الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قراءة ابن عامر: ﴿تَبغُونَ﴾، في قوله -تعالى-: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقرأ الباقون بالياء[١]، وبين غرضها بقوله: «وهو أدلّ على الغضب»[٢]، وبدأ يُعدِّد أغراض الالتفات، فهو يأتي: «تحريكاً للسامع، وتنشيطاً له، واهتماماً بأمر العبادة، وتفخيماً لشأنها، وجبراً لمشقة العبادة بلذة المخاطبة»، وتحذير السامع، والترهيب، والمبالغة في التوبيخ، والإعراض عن المخاطب، أو الإقبال عليه، والتهديد، والتقرير، إلى غير ذلك[٣]، وهو بذلك يُفعّل دلالة السياق لاستخراج أغراض الالتفات.

- الإيجاز والإطناب بأنواعه:

الإيجاز: هو التعبير عن الفكرة بأقل لفظ من المتعارف وافٍ بالمراد لفائدة، وهو نوعان: إيجاز حذف، وإيجاز قصر[٤]، وقد ذكر الشربيني الحذف في مواضع كثيرة، لكنه لم يُصرّح بأنها باب من أبواب البلاغة، وكذلك لم يقف على الغرض البلاغي منها[٥].

الإطناب: التعبير عن الفكرة بزيادة لفظ لتقويتها، أو توضيحها، أو دفع الايهام، إلى غير ذلك، ومن أنواعه: ذكر الخاص بعد العام، وذكر العام بعد الخاص، والإيضاح بعد الإبهام، والتكرير، وغيرها[٦]، يقول الشربيني: «قال أكثر أهل المعاني: هو أن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم، ومن مذاهبهم التكرار لإرادة التأكيد والإفهام، كما أنّ من مذاهبهم الاختصار لإرادة التخفيف والإيجاز»[٧].

(١) أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد، الحجة للقراء السبعة، المحقق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دمشق، بيروت، دار المأمون للتراث، ١٩٩٣م، ط٢، (٢٢٨/٣).
(٢) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٣٧٩/١).
(٣) المصدر السابق (٣١/١)، (٦٣٠/١)،وغيرها.
(٤) ينظر: علوم البلاغة، المراغي (ص١٨٣).
(٥) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (١٨٧/٣)، (١٤٧/٤)، (١٩٤/٤)، وغيرها.
(٦) ينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية، (ص٢٠١).
(٧) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٦٠٠/٤).

وتوقَّف عند الإطناب وأنواعه: فالتكرار يفيد التأكيد، وربما يفيد التهديد والتهويل(١)، وتناوَلَ ذكر الخاص بعد العام تشريفاً له، وذكر العام بعد الخاص(٢)، والإيضاح بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال يكون لتفخيم الشأن المبين(٣).

- إضمار ما لا يسبق ذِكره أو الذِّكر بعد الإضمار يفيد التفخيم: يقول -تعالى-: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]، الهاء في قوله: ﴿نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآن، فإضمار «ما لا يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه؛ حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدلّ على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته»(٤).

- التعريف والتنكير: فالتعريف في قول الله -تعالى-: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونَ﴾ [يس: ٣٤]، فتعريف ﴿العُيُون﴾ هنا يدلُّ على أنَّ الله -تعالى- يمنعها من بعض المواضع، ونعمة حبس الماء عن بعض الأرض ليكون موضعاً للسكن، ولو شاء لفجَّر الأرض كلها عيوناً كما فعل بقوم نوح فأغرق أهل الأرض كلهم(٥)، ويكون التنكير كما ذكر الشربيني للتعظيم أو التكثير أو التحقير أو التنويع أو لكسب المغفرة أو الإساءة أو ما يعمهما(٦)، ومن أمثلة ذلك دلالة التنكير في لفظة: ﴿إِحْسَانًا﴾ في قوله -تعالى-: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]: «التنكير يدل على التعظيم، أي: إحسانًا عظيمًا كاملاً؛ لأنّ إحسانهما إليك قد بلغ الغاية العظيمة، فوجب أن يكون إحسانك إليهما كذلك»(٧).

- الاستدراج: «وهو أن يذكر لمخاطبه أمراً يسلمه وإن كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي إلى ما يلقيه إليه إذ لو بدأه بما يكره لم يصغ»(٨)، وقد مثَّل الخطيب الشربيني على ذلك في قوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، وغرضه إقناع المخاطب

(١) المصدر السابق (٣٩٨/٣).
(٢) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤/ ٣٢٩).
(٣) المصدر السابق (٩٢/١)، (٢٣٥/١).
(٤) ()السراج المنير، الخطيب الشربيني وانظر: (٢٦/٢)، وغيرها.
(٥) المصدر السابق (٣٤٩/٣)، وانظر: (٤٢٠/٢).
(٦) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٥٩٦/٣).
(٧) المصدر السابق (٢٩٥/٢)، ودلالة التعظيم أيضًا: (١٦٠/٤).
(٨) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢٩٧/٣)، وينظر أيضًا: ابن الأثير، الجامع الكبير (ص٢٣٥).

والتلطف به بالقول الرقيق للوصول إلى الغرض من الخطاب، من حيث لا يشعر به[١].

- التقديم والتأخير: حسب الأهمية والعناية؛ ففي قوله -تعالى-: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ [الطور: ١٥]: قدم الخبر: ﴿أَفَسِحْرٌ﴾ «لأنه المقصود بالإنكار والتوبيخ، وذلك أنهم كانوا ينسبون محمداً ﷺ إلى السحر، وأنه يغطي الأبصار بالسحر، وأنّ انشقاق القمر وأمثاله سحر، فوبخوا به»[٢].

- الجموع: يقف الخطيب على دلالة الجمع مفعِّلًا دلالة السياق في قوله -تعالى-: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ﴾ [هود: ٥٩]، «﴿وعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، أي: هودًا وحده، وإنما أتى به بلفظ الجمع إمّا للتعظيم، أو لأنّ من عصى رسولًا فقد عصى جميع الرسل»[٣]، وربما يكون ضمير الجمع للتأكيد كما في لفظة: ﴿ارْجِعُون﴾ في قوله -تعالى-: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون﴾ [المؤمنون: ٩٩]، أي: «ردوني إلى الدنيا دار العمل، ويجوز أن يكون الجمع له تعالى وللملائكة أو للتعظيم على عادة مخاطبات الأكابر ... أو القصد تكرير الفعل للتأكيد»[٤]، كأنه كررها عدة مرات أرجعني ارجعوني.

ونراه يستنتج من دلالة الجمع ما يُثري الآية في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون﴾ [الكافرون: ١]، عبَّر القرآن بالجمع: ﴿الْكَافِرُون﴾ «الذي هو أصل في القلة، وقد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه وسلم»[٥]، وعلَّل ورود اسم الجنس في قوله -تعالى-: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [الكهف: ٣٥]، «وأفرد الجَنة لإرادة الجنس، ودلالة ما أفاده الكلام من أنهما لاتصالهما كالجَنة الواحدة، وإشارة إلى أنه لا جَنة له غيرها؛ لأنه لا حظّ له في الآخرة»[٦].

- الاستئناف البياني: هو من باب الوصل والفصل، ومفهومه: هو «الإتيان بعد تمام الكلام بقولٍ يُفهم منه جواب سؤال مقدَّر»[٧]، ومثاله قوله -تعالى-: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ

(١) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة، الطالبي (١٤٨/٢).
(٢) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (١١٢/٤)، وانظر أيضًا: (٢٣٨/٣)، (٩٣/٣).
(٣) ()ينظر: دلالة التعظيم أيضًا: (٦٢٥/٢)، (٢٤٨/٣)، (٣٥١/٤).
(٤) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٥٩١/٢).
(٥) المصدر السابق (٥٩٩/٤).
(٦) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٣٧٦/٢).
(٧) ينظر: عكاوي، إنعام فوّال، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع، والبيان، والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م، ط٣، (ص٦٦).

عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦]، فالجملة الأولى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، كأنَّها أجابت عن سؤال أو أثارت سؤالاً في قلب السامع، لم يَح به: كيف لا يكون ابني؟ وجاءت الجملة الثانية جوابًا لهذا السؤال المثار: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

يُبيِّن الشربيني الاستئناف البياني في قوله -تعالى-: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيب﴾ [هود: ٩٣]، فقوله -تعالى-: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ فكأنهم قالوا: فماذا يكون بعد ذلك؟ فقال: سوف تعلمون، ولم يقل فسوف تعلمون، فظهر أنَّ حذف حرف الفاء ههنا أكمل في بيان الفصاحة والتهويل؛ لأنَّه استئناف.

وخلاصة القول، نلحظ بأنَّ الشربيني رحمه الله وقف على الكثير من مباحث علم المعاني، مستخلصًا ما فيها من بلاغة تُثري السياق، وتعمق مفهومها، وذلك بربط البلاغة في سياق الآيات بسلاسة ويسر، ليكشف عن الفروق بين الأبنية المختلفة، وأثرها على السياق، وهو «موضوع جليل، وحسبك من جلالته أنَّ اللغة ما وُجِدت إلا للافصاح عنه»[١]، لذلك نراه يربط الدلالة البلاغية بالتعليل المنطقي حسب ما يقتضيه مقامها من قرائن، وهذا باب من أبواب الإعجاز، يُحسب له - رحمه الله- حتى ولو كان انتقاءً من كتب التفاسير، فمثل هذا الكم الهائل من حشد علوم اللغة والنحو والبلاغة والفقه لا يقدر عليه إلا عالم متبحر، فكيف وأنت ترى لمسات إنشائه بما يشي بسعة علمه وعمق فهمه.

الثاني: علم البيان:

هو علم يبرز المعنى الواحد بتراكيب متباينة تختلف في وضوح دلالاتها كالاستعارة والكناية والتشبيه وغيرها[٢]؛ وهي تنشأ في نفس الأديب كقولنا: هو البحر جودًا، أو الندى ملئ كفيه، أو السحاب طوع يديه، وهكذا، ويرى البلاغيون أنَّ مفهوم علم البيان هو المجاز والحقيقة، وما تنشأ بينهما من علاقات.

(١) السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ٢٠١١م، ط٥، (٩/١).
(٢) ينظر: التفتازاني، مسعود بن عمر (ت٧٩٢هـ)، التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، مصر، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، ١٩٥٧م، (١٨٣/١)، وكشف الظنون، حاجي خليفة (١٦٣/٢).

ومن أمثلة ما أورده الخطيب الشربيني ما يلي:

أولًا: التشبيه بأنواعه: كالتشبيه المفرد (بليغ)، التشبيه التمثيلي، التشبيه المقلوب(١)، وأحيانًا لا يذكر الشربيني التشبيه باسمه البلاغي المعروف، لكنه يتناول عناصر التشبيه؛ المشبه والمشبه به بالبيان، ويُفصِّل في وجه الشبه أو الغرض من التشبيه وأثره على المعنى، فالتشبيه يُبرز الحقيقة في معرض المشاهد المحسوس زيادةً في التوضيح(٢)، وفيما يلي أمثلة على وقوفه على عناصر التشبيه بالتوضيح والبيان:

- قوله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُور﴾ [فاطر: ٩]، يقف على وجه الشبه من وجوه(٣):

أولها: الأرض الميتة قبلت الحياة، كذلك الأعضاء تقبل الحياة.

ثانيها: الريح يجمع السحاب المقطع، كذلك تُجمع الأعضاء المتفرقة.

ثالثها: نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت، كذلك نسوق الروح إلى الجسد الميت.

- يقول -تعالى-: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجُرات: ١٢]، في هذا التشبيه إشارة إلى أنّ:

الأول: عرض الإنسان كدمه ولحمه؛ فقرض العرض مُؤلم كقطع اللحم.

الثاني: إذا لم يحسن بالعاقل أكل لحوم الناس، لم يحسن منه قرض عرضهم بطريق أولى.

الثالث: قوله: ﴿لَحْمَ أَخِيهِ﴾ آكد في المنع؛ فالعدوّ يحمله الغضب على مضغ لحم عدوّه.

الرابع: قوله: ﴿ميتاً﴾ قد يقال: إنّ الشتم في الوجه يؤلم فيحرم، وأمّا الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يؤلم، فيقال: لحم الأخ وهو ميت أيضًا لا يؤلم، ومع هذا هو في غاية القبح، فإنّ الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه.

الخامس: الاغتياب أكل لحم الآدمي ميتاً، ولا يحل أكله إلا للمضطرّ بقدر الحاجة، والمضطرّ إذا وجد لحم الشاة الميتة فلا يأكل لحم الآدمي، فكذلك المغتاب إذا وجد لحاجته مدفعًا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب.

---

(١) ينظر على الترتيب: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢٦٢/١)، (٢٥١/٢).

(٢) ينظر على سبيل المثال: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢٧/١، ١٧٠)، (٥٥٥/٣).

(٣) المصدر السابق (٣١٥/٣).

السادس: ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك(١).

ونرى الشربيني رحمه الله يَبين عن غرض التشبيه خير بيان، تفصيلا لجوانبه، وتنفيرًا لمن قد يقع فيه، وهو وإن كان بعض ما ذكره مذكور عند غيره من المفسرين، ولكنَّ الشربيني جمع إليه العمق، والبيان، والاختصار.

ثانيًا: المجاز بنوعيه: ما دلَّ على علاقة مشابهة؛ وهو الاستعارة، وما دلَّ على علاقة غير مشابهة، وهو المجاز المرسل(٢).

أما الاستعارة فذكر منها: الاستعارة المكنية، والتصريحية، واستعارة تبعية مصرحة، واستعارة محسوس لمعقول، واستعارة معقول لمحسوس(٣)، وأحيانًا يُفصِّل: فقال في قوله -تعالى-: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]: «وفي هذا الكلام استعارتان: استعارة بالكناية في الغضب عن الشخص الناطق، واستعارة تصريحية أو تخييلية في السكوت عن طفء غضب موسى وسكون هيجانه وغليانه»(٤).

وكثيرًا ما يقف على الغرض من الاستعارة وأهميتها وأثرها على الكلام، وهو بذلك يقتنص ما في البلاغة من جمال لبيان المعنى المراد في سياقه، وهذه هي الغاية الرئيسة من البلاغة، لا مجرد تعداد ألفاظها دون أثر بيِّن لها(٥)، ففي قوله -تعالى-: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وصف الميثاق بالغلظ: استعارة مكنية، والمراد منها: «عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه»(٦)، وقوله -تعالى-: ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، الأصل أنَّ الضيق صفة، والصفة تحصل في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلاً في الصفة، والمعنى: ولا يكن الضيق فيك، إلا أنّ الفائدة في قوله -تعالى-: ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾: هو أنّ الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل الجوانب، وصار كالقميص المحيط به، فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (٧)، وقوله -تعالى-: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء

(١) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٧٠/٤)، وذكر نحوه الرازي، مفاتيح الغيب (١١٠/٢٨).
(٢) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي (١٢٩/٢).
(٣) ينظر على الترتيب: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٥٧٤/١)، (٣٤٩/٣)، وأيضًا: وغيرها.
(٤) المصدر السابق (٥٢٠/١)، وينظر أيضًا: (٣٥٦/١)، (٢٦٥/٢)، (٨٣/٣).
(٥) ينظر مثلًا: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢٩٧/٢)، وأيضًا: (٢٦٥/٢).
(٦) المصدر السابق (٢٢٣/٣).
(٧) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢٧٢/٢).

وَالأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]، استعارة مكنية، فهي «مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم لهوانهم»(١).

وأما المجاز المرسل، فذكر من أنواعه: العلاقة الجزئية، والسببية، والمحلية، باعتبار ما سيكون، وربما يشرحه دون تحديد لاسمه صراحة، وهذا يدل عل تبحره رحمه الله، فهدفه إيصال الأفكار، بغض النظر عن مسمياتها(٢).

ثالثًا: الكناية: عرّف الشربيني الكناية بأنَّها دلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه؛ كقولك: كثير الرماد للمضياف، وفرَّق بينها وبين التعريض في الكلام، فالتعريض: هو ما يفهم منه السامع مراده بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازًا، ويُعرِّفه في موضع آخر بأنَّه: اللفظ المشار به إلى جانب والغرض جانب آخر، أو هو تضمين الكلام دلالة ليس لها، كقول السائل: جئتك لأسلّم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم، ويسمَّى التلويح؛ لأنَّه يَلوح منه ما يريده، علمًا بأنَّ التعريض والتلويح من أنواع الكناية(٣)، والعلماء يفرِّقون بينهما(٤)، وهذا التنوُّع في التعريف يدلُّ على ما في معينه من مكنة بلاغية.

وذكر الكناية في مواضع متعددة(٥)، وبين الكناية عن نسبة، وأما الكناية عن صفة أو موصوف بيَّنَها دونَ ذكر اسمها صراحة(٦).

خلاصة القول، إنَّ الشربيني - رحمه الله- توقَّف على مباحث علم البيان، فأحيانًا يُسميها باسمها البلاغي، وأحيانًا أُخر يقف على عناصرها بالشرح والتبيان فحسب دون مسمى، ليقف على الغاية الرئيسة من البلاغة ببيان معانيها، ومواضع الجمال فيها، لا مجرد تعداد مسمياتها دون ثمرة تُرجى، وهذا الأثر البلاغي يُشعر القارئ «بلذة عظيمة وهو ينظر في التعبيرات ودلالتها المعنوية، ويشعر باعتزاز، بانتسابه إلى هذه اللغة الفنية، الثرية، الحافلة بالمعاني الدقيقة الجميلة»(٧)، ومن باب آخر يكشف عن مواضع الأعجاز البياني الذي عجز البشر عن مجاراته حتى يومنا هذا.

(١) المصدر السابق (٣/٥٨٥).
(٢) ينظر على الترتيب: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤/٤٢٢)، (١/٥٤٩)، وأيضًا:
(٣) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (١/٢٤، ١٥٣).
(٤) ينظر: عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي (٢/٢١٧)، وابن عربشاه، إبراهيم بن محمد، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حققه وعلق عليه: عبدالحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، (٢/٣٥٥).
(٥) ينظر على الترتيب: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٣/٩٧)، (١/١٢٢).
(٦) المصدر السابق (٣/٤٥٧). وأيضًا: وغيرها.
(٧) معاني النحو، السامرائي (١/٨).

الثالث: علم البديع:

«وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدّلالة»(١).

وهو ينقسم إلى نوعين: محسنات لفظية: كالجناس، والسجع، وحسن التقسيم، إلى غير ذلك، ومحسنات معنوية: كالتورية، والطباق، والمقابلة، وتجاهل العارف، والمشاكلة، إلى غير ذلك.

وسنذكر فيما يلي بعض ما تناوله الشربيني من هذه المباحث:

أولًا: الطباق والمقابلة: وهو نوع من البديع، يذكر فيه ضدّان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه، ومثاله قوله -تعالى-: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣]، ثم يُبين أثرهما على المعنى بأنَّ الفعلين: أضحك وأبكى، عُوملا معاملة اللازم دون ذكرٍ للمفعول في هذا الموضع؛ لأنهما سيقا لإثبات الفعل في نفسه، وهو قدرة الله -تعالى- لا لبيان المقدور(٢)، وكذلك المقابلة، وهي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله -تعالى-: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧](٣)، ويضرب على ذلك مثلًا في قوله -تعالى-: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ﴾ ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ﴾ [الحُجُرات: ٧](٤).

ثانياً: تجاهل العارف أو الإعنات: وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة؛ ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو لدلالة الحب، أو التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ(٥)، يذكر الشربيني أنَّ السؤال في قوله -تعالى-: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦] من باب سؤال العارف للتعظيم(٦).

(١) عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي (٢/٢٢٤).

(٢) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤/١٣٧) بتصرف، وينظر: ابن الأثير، نصر الله بن محمد الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، (٢/٩١).

(٣) ينظر: جواهر البلاغة، الهاشمي (ص٣٠٤).

(٤) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤/ ٦٥). وأيضًا: (٣/٣٠٢)، (٣/٤٣٨)، (٣/٤٢٣)، وغيرها.

(٥) ينظر: ابن أبي الإصبع العدواني، عبدالعظيم بن الواحد، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (ص١٣٥).

(٦) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤/١٥٠).

ثالثًا: المشاكلة والمماثلة: «هو أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ولو تقديرًا»(١)، ومثاله قوله -تعالى-: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، الأصل: جزاء سيئة عقوبة مثلها، لكنه سمَّاها سيئة من باب المقابلة لذكرها في صحبة ذلك اللفظ: السَّيِّئَة قبلها، ولا يقصد بها التشبيه(٢)، ومثلها قوله -تعالى-: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦]، جعلنا لهم بدلهما جنتَين: ثمرها بشع مر، وأطلق عليهما جنتين من باب المشاكلة اللفظية للتهكُّم بهم(٣).

رابعًا: التقسيم: وهو تقسيم المعنى إلى أجزاء متساوية، لا يخرج منها جنس من أجناسه، كقوله -تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢]، فقسَّم موقف الناس من البرق إلى قسمين: خائف من صعقه، طامع في غيثه، ولا ثالث لهما(٤).

ومثاله كما ذكره الشربيني هو قوله -تعالى-: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاَثَةً﴾ [الواقعة: ٧]، ثم قسَّم هذه الثلاثة إلى: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون(٥).

خامساً: التغليب: وهو «ترجيح أحد المعلومين على الآخر فى إطلاق لفظه عليهما»(٦)، كالقمرين؛ لمن يقصد الشمس والقمر، والأبوين: للأب والأم.

ومن أنواعه كما قرَّرها الخطيب الشربيني في تفسيره: كتغليب العاقل على غيره، وتغليب المذكَّر على المؤنث، وتغليب المشرق على المغرب، وتغليب الدرجات على الدركات، وتغليب العاقل على غير العاقل، وتغليب الخطاب على الغيبة، وتغليب الحاضر على الغائب(٧).

(١) المصدر السابق (٣٩/١). وانظر أيضًا: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح (٢٣٧/٢).
(٢) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢٨٥/٢).
(٣) ينظر: المصدر السابق (٢٩١/٣). وأيضًا: (٤٣٨/٣)، وغيرها.
(٤) ينظر: عتيق، علم البديع (ص١٣٤).
(٥) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (١٨٠/٤). وأيضًا: (٨٠/٢)، وغيرها.
(٦) ينظر: الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية، (٦٩/٢).
(٧) ينظر على سبيل المثال: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٢٣٥/٢)، (٤٥٠/١)، (٤٦٦/١)، وأيضًا (٦١٨/٢)، وغيرها.

والتغليب «باب واسع يجري في فنون كثيرة»(١)، وعليه فبعض العلماء يعدونه من المجاز بنوعيه، وبعضهم من علم المعاني، وبعضهم من المحسنات البديعية(٢)، لكنَّ الخطيب الشربيني يرجح أنها من المجاز بنوعيه، يقول الدسوقي: «وبالجملة فالتغليب؛ إما مجاز مرسل علاقته الجزئية أو المصاحبة، أو من قبيل عموم المجاز»(٣).

ومن أمثلة الشربيني على ذلك قوله -تعالى-: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤]، بقوله: «أي القرآن بأسره والشريعة عن آخرها، وإنما عبر عنه بلفظ المضيّ وإن كان بعضه مترقبًا تغليبًا للموجود على ما لم يوجد، فيكون مجازاً باعتبار تسمية الكل باسم البعض، أو تنزيلًا للمنتظر منزلة الواقع، فيكون استعارة باعتبار تشبيه غير المتحقق بالمتحقق»(٤).

فهو يرى أنَّ الآية: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ جاءت على باب التغليب من أحد وجهين:

الأول: تغليب ما هو موجود (من القرآن) على ما لم يوجد (لم ينزل بعد)، وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية، فقد أطلق الجزء وأراد الكل.

الوجه الثاني: استعارة: حيث شبه ما لم ينزل من القرآن بالذي نزل، وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وبهذا نلحظ اقتداره البلاغي، وقوة إيجازه، وتكثيفه للمعنى، وربما تتنازعه مباحث بلاغية، فيتناولها باقتدار، ويرجح بينها دون تردد فيها، ثم يدمجها في تفسيره بسهولة ويسر.

وخلاصة القول، تناول الشربيني - رحمه الله- غيرها من مباحث البديع، لكن بمعانيها لا بمسمياتها، وينبغي الإشارة إلى أنَّ الشربيني تناول السجع الذي هو: «توافق الفاصلتين من النثر على الحرف الأخير أو الوزن»(٥)، ولكنه رفض هذه التسمية، وآثر تسميتها بالفاصلة، متابعًا

(١) ينظر: القزويني، محمد بن عبدالرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، ط٣. (١٢٠/٢).

(٢) ينظر: عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي (٣٢٨/١)، وحَبنَّكة الميداني، عبدالرحمن بن حسن، البلاغة العربية، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٩٩٦م، ط١، (٥١٠/١)، والغربي، محمد صالح علي، أسلوب التغلب عند الخطيب الشربيني من خلال كتابه السراج المنير، مجلة التأصيل، جامعة دنقلا، مركز تأصيل المعرفة والعلوم، يوليو ٢٠٢٤م، (ص٦٢)، والصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م، ط١٧، (١٧٣/١).

(٣) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، الدسوقي (٧٠/٢).

(٤) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (١٨/١).

(٥) ينظر: الطيبي، الحسين بن عبدالله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، حققه: نخبة من الباحثين، جائزة دبي

في ذلك مَن سبقه مِن جمهور العلماء[1]؛ لأنَّ القرآن مُنزَّه عن ذلِك، فهو صفة من صفات الله -تعالى-، فلا يجوز وَصْفُه بصفة لم يرد الإذن بها، والله سبحانه نفى الشِّعر عن كتابه، والقافية والسجع من لوازم الشِّعر، فوجب سلبهما عن القرآن تنزيهًا له، فضلًا عن أن الفواصل تتبع المعاني، وهي من لدن حكيم خبير، ولا تكون مقصودة في نفسها على خلاف السجع الذي قد يجنح به صاحبه إلى التشدُّق والتكلُّف ليُوافقها[2].

ومهما بلغت مهارة الفرد ودقَّة إتقانه، فإنَّ الكمال لله وحده، فإننا نجد أنَّ الشربيني رحمه الله قد اتَّكأ على البلاغة ليُقرِّر مذهبًا عقديًّا يعتقده، مع أنَّ الدليل يغايره، وقد ساقه بنفسه، أي أنه: لا يجوزُ أن يُحْمَلَ كلام الله عز وجل ويُفَسر بمجرد الاحتمال النَّحْوي الإعرابي الذي يحتملُه تركيبُ الكلام، ويكونُ به الكلام له معنًى ما، فإنَّ هذا مقامٌ غَلِطَ فيه أكثرُ المعربين للقرآن.

وسنضرب على ذلك مثلًا: وهو قوله -تعالى-: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزَّمل: ١٧]، يقول الشربيني: «ويقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يراد في الآية الحقيقة، والمعنى: يصيرون شيوخًا شمطًا من هول ذلك اليوم وشدّته»[3].

فهو يرى حقيقةَ أن يُصبح الوالدان شيبًا مجازًا، والغريب أنَّه ينقل بعد ذلك الحديث الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم، من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ عزوجل يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ

الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣م، ط١، (٦٢٣/١)، علم البديع، عتيق (ص٢١٥).

(١) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني (٣٢٢/٣).

(٢) ينظر: السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، (٣٣٤/٣)، والقسطلاني، أحمد بن محمد، لطائف الإشارات لفنون القراءات، المحقق: خالد حسن أبو الجود، الجيزة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٢٠١٤هـ، ط١، (٤٥١/١).

(٣) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤٢٠/٤)، وانظر أيضًا: (٤٤٣/٤)، (١/ ٥٦٧)، (٣٦٤/٣)، وغيرها.

الأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ»(١).

وهذا بلا شك مخالف للدليل الصحيح، فلا يكون في الآية إلا قولًا واحدًا، ولا يجوز إعمال المجاز دون دليل، بل هو يناقض الدليل، ونراه -رحمه الله- في غير موضع ينتقد التأويل إذا خالف الدليل، فيقول: «إثبات الحذف لسبب اعتقادي صِرف دون دليل إلا شبهات المتأولين فهذه مغامرة، لا ينبغي للمفسر أن يقع فيها»(٢).

وأحيانًا يقرِّر المجاز في آية، فيُخرجها عن معناها الحقيقي بلا مقتضى من دليل أو سياق إلا ما يُوحي به العقل الصرف الذي لا ينبغي أن يكون حكمًا على الشرع، وهذا من أخطر أنواع التأويل قاطبة، وإليه يجنح أهل الزيع والهوى قديمًا وحديثًا، يقول رحمه الله في قوله -تعالى-: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾ [البقرة: ١١٧]: «وهذا مجاز من الكلام وتمثيل، وإنما المعنى: أنّ ما قضاه من الأمور وأراد كونه، فإنَّما يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف؛ كما أنّ المأمور المطيع الذي يؤمر فيتمثل، لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء»(٣)، وهذا كما ترى تحميل للسياق ما لا يحتمل، والجدير بأهل السنة إبقاء الآيات على ظاهرها خاصة عند غياب المسوِّغ، والله أعلم.

وختامًا، يُعد تفسير الخطيب الشربيني «السراج المنير» تفسيرًا مختصرًا جامعًا ثريًّا، اكتسب جلالته من كاتبه الذي هو معين لا ينضب ماؤه، تشرَّبَ علوم العربية بفنونها كافة، وقد أبانت هذه الدراسة عن الجانب البلاغي فيه، حيث لم تتناولها الدراسات السابقة إلا عرضًا، وما قصَدَت هذه الدراسة مناقشة الآراء وتتبعها، بل أرادت كشف هذا الجانب في شخصيته، وسجَّلت بعض ما جادت به يَراعه من لفتات بلاغية، تُدلّل على إمامته البيانية، وهي جديرة بهذا التتبُّع والعناء، وأسأل الله -تعالى- أن تسدَّ هذه الدراسة ثغرة في الدراسات القرآنية، والله ولي التوفيق.

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، السعودية، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ط١، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، حديث رقم (٣٣٤٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله لآدم: أخرج بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، حديث رقم (٢٢٢)، وهذا اللفظ الذي ذكره الخطيب الشربيني جمعه من عدة روايات للحديث.

(٢) السراج المنير، الخطيب الشربيني (٤١٠/٢).

(٣) ()السراج المنير، الخطيب الشربيني (٨٨/١).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولًا: نتائج البحث: كشفت هذه الدراسة عمَّا يلي:

١- حياة الخطيب الشربيني وسماته، ومذهبه، وعلمه، ومصنفاته.

٢- أهمية هذا التفسير، وخاصة أنَّ مؤلفه مختص بعلوم العربية، وهو من أواخر ما كتبه، فيُنبئ عن اتساع علومه، واكتمال أدواته الفنية، فضلًا عن اختياراته العلمية.

٣- بيان منهجه في التفسير الذي هو أقرب إلى التفسير الهدائي، فينتقي لكل آية ما يُناسب المقام، مع طرحه للخلافات عامّة، وكثرة مصادره، وتنوُّعها.

٤- طريقته في التفسير: بشرح الآية كلمة كلمة، ويستدل باختصار على ما يعينه على التفسير من سبب النزول، أو آية، أو حديث، أو قول صحابي أو تابعي، أو مفسر، وقد يُثري شرحه بشعر، أو مسألة لغوية، أو عقدية، إلى غير ذلك.

٥- شَرْح الشربيني للبسملة بداية كل سورة بما يتناسب مع موضوعها العام متابعًا بذلك القشيري في إشاراته.

٦- دَمْج علوم العربية بفنونها كافة في التفسير بسهولة ويسر، وهو يتفَّن في استخلاص البلاغة، مما يدل على إمامته البلاغية إلى جانب إمامته الفقهية.

٧- مباحث علم المعاني في تفسيره، مستخلصًا ما فيها من بلاغة تُثري السياق، وتعمق مفهومها، وكشفت أيضًا عن بعض الفروق بين الأبنية المختلفة، وأثرها على السياق.

٨- مباحث علم البيان في تفسيره، وغايته وذلك ببيان معانيها، ومواضع الجمال فيها.

٩- رَفْض الشربيني للسجع في القرآن الكريم، وآثر تسميته بالفاصلة؛ لأنَّ القافية والسجع من لوازم الشعر، فوجب سلبهما عن القرآن تنزيهًا له، والله سبحانه نفى الشِّعر عن كتابه، والقرآن صفة من صفات الله -تعالى-، فلا يجوز وَصْفُه بصفة لم يرد الإذن بها، فضلًا عن أن الفواصل تتبع المعاني؛ لأنها من لدن حكيم خبير، بينا السجع قد يجنح بصاحبه إلى التشدُّق والتكلُّف ليُوافقها.

١٠- طوَّع البلاغة لإثبات عقيدته الأشعرية بما يتناقض مع الأدلة النقلية أو دلالة السياق.

ثانيًا: التوصيات: توصي الدراسة بما يلي:

١- اختصار تفسير «السراج المنير» على طريقة التفسير الهدائي.

٢- إفراد بعض المسائل البلاغية في تفسير «السراج المنير» بالدرس والبحث.

٣- تتبع معاني النحو والصرف والبلاغة لبيان أثرها على أبنية العربية.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، نصر الله بن محمد الجزري (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة.

٢. ابن أبي الإصبع العدواني، عبدالعظيم بن الواحد (ت٦٥٤هـ)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٣. الباباني، إسماعيل باشا بن محمد أمين (ت١٣٣٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، ويُعرف باسم: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، السعودية، ط١، سنة ١٤٢٢هـ.

٥. البقاعي، إبراهيم (ت٨٨٥هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط بلا، سنة بلا.

٦. بهاء الدين السبكي، أحمد بن علي (ت٧٧٣هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٧. التفتازاني، مسعود بن عمر (ت٧٩٢هـ)، التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، مصر، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.

٨. الجناجي، حسن بن إسماعيل (ت١٤٢٩هـ)، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م.

٩. حاجي خليفة، مصطفى عبد الله القسطنطيني (ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: إكمال الدين إحسان أوغلي، وبشار عواد معروف، ومهران محمود الزعبي، ومحمود بشار العبيدي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، إنجلترا، ط١، ١٤٤٣هـ، ٢٠٢١م.

١٠. حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، عبدالرحمن بن حسن (ت١٤٢٥هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١١. الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (ت٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

١٢. ابن خلدون، عبدالرحمن (ت٨٠٨هـ)، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٣. الدسوقي، محمد بن عرفة (ت١٢٣٠هـ). حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.

١٤. الذهبي، محمد السيد حسين (ت١٣٩٨هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٥. الرازي، محمد (ت٦٠٦هـ). مفاتيح الغيب، وهو تفسيره المعروف باسم: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، سنة ١٤٢٠هـ.

١٦. الزبيري، وليد، وزملاؤه، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم، مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٧. الزُّرْقاني، محمد عبدالعظيم (ت١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، د.ت.

١٨. الزركلي، خير الدين (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

١٩. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط٥، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٢٠. السكاكي، يوسف بن أبي بكر (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢١. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٢٢. الشمري، ثقيل بن ساير، الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٢٣. الصعيدي، عبدالمتعال (ت١٣٩١هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢٤. الطالبي، يحيى بن حمزة الحسيني (ت٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢٥. الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، بلا.ط، بلا. ت.

٢٦. الطيبي، الحسين بن عبدالله (ت٧٤٣هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، حققه: نخبة من الباحثين، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٢٧. العازمي، سلطان، لطائف الإشارات للقشيري في ضوء نظرية السياق القرآني، صور تطبيقية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد (٣٩)، جمادى الآخر ١٤٤٦هـ، ديسمبر ٢٠٢٤م.

٢٨. عتيق، عبدالعزيز (ت١٣٩٦هـ)، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢٩. ابن عربشاه الحنفي، إبراهيم بن محمد (ت٩٤٣هـ)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حققه وعلق عليه: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠. عكاوي، إنعام فوّال، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع، والبيان، والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م، ١٤٢٧هـ.

٣١. أبو علي الفارسيّ، الحسن بن أحمد (ت٣٧٧هـ)، الحجة للقراء السبعة، المحقق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٣٢. ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، سنة ١٤٠٦هـ.

٣٣. الغربي، محمد صالح علي، أسلوب التغلب عند الخطيب الشربيني من خلال كتابه السراج المنير، دراسة تطبيقية، مجلة التأصيل، جامعة دنقلا، مركز تأصيل المعرفة والعلوم، يوليو ٢٠٢٤م.

٣٤. الغزي، نجم الدين محمد (ت١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٣٥. القزويني، محمد بن عبدالرحمن (ت٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.
٣٦. القسطلاني، أحمد بن محمد (ت٩٢٣هـ)، لطائف الإشارات لفنون القراءات، المحقق: خالد حسن أبو الجود، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، ط١، ٢٠١٤هـ.
٣٧. القشيري، عبدالكريم بن هوازن (ت٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، المعروف بتفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.
٣٨. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤١٤هـ، ٩٣١٩م.
٣٩. مبارك، علي باشا (ت١٣١١هـ)، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٤٠. المراغي، أحمد بن مصطفى (ت١٣٧١هـ)، علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، بلا.ت.
٤١. مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، وهو صحيحه، ويُعرف باسم: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بلا، سنة بلا.
٤٢. نويهض، عادل. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.
٤٣. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، (ت١٣٦٢هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.